سينما

«البرابرة» للفرنسية جولي دلبي

أسلوب ساخر في انتقاد العنصرية

جديد الفرنسية جولي دلبي يقرأ واقعاً أوروبياً يتعلّق بالمهاجرين السوريين، وبكيفية التعامل المتناقض مع مهاجرين أوروبيين وآخرين من خارجها

باريس ـ **ندى الأزهري**

كيف سيتلقّى سكّان قرية في غربيّ فرنسا وصول عائلة سورية؟

يحيل السؤال فوراً إلى مسألتي الهجرة والمهاجرين، بالأحرى إلى نوع أولئك، المقبول منهم والأقلّ قبولاً، أو الواقع بينَ بين، هذا الذي يُنظَر إلى مجيئه برأفةٍ، لكنْ بحذر أيضاً. إلى هؤلاء تنتمي العائلة السورية. السوريون، قليلو العدد نسبياً في فرنسا، يخضعون لأفكار مسبقة في الفكر الجمعي، تضعهم في خانة عرب ومسلمين. اليوم، نعلم ما يعني ذلك. من ثم، هم في مكانة غير تلك التي يحظى بها مهاجرون أوروبيون، الأوكرانيون مثلاً، رحّبت بهم الدولة والمواطنين بحماسة، وسَهّلت سبل العيش لهم.

الربط بين الموضوعين، وإنْ عابراً، فكرة ذكية ارتكز عليها «البرابرة» (2024) للفرنسية جولي دِلبي. لكنّ المخرجة لم تتعامل مع حلول أسرة غريبة في بيئة مغلقة بجدّية طبعت «شجرة البلوط العتيقة» (2023) للبريطاني كِن لوتش، المشابه في موضوعه، بل طبعته بروح دعابةٍ ساخرة، جعلته مُمتعاً وفعّالاً في الوقت نفسه. تمثّل ذلك في أسلوب معالجتها سلوك فرنسيين وأفكارهم، كانوا ضد فكرة الترحيب باللاجئين، وفي طرحها فكرة العنصرية بدرجاتها المتفاوتة، كما نقيضها، من دون تحفّظ. فالمخرجة تعتبر أنّ تحديد هويتها يتأتّى عبر تفكيرها النقدي والتعبير بحرية.

استهلّ «البرابرة» بالغمز من جهة الكيل بمكيالين، والتحلّي بالإنسانية فقط حين تتناسب مع معايير شخصية نسبية. بيّن هذا الفرق بين استقبال «نوعين» من اللاجئين، حين خُصّ الأوكرانيون بحفاوةٍ من الدولة والمواطنين، وأبدت قرى صغيرة (نموذج عنها حاضرٌ في قرية الفيلم) حماسة للعب دور وطني وإنساني، تمثّل في طلب استقبال عائلة منهم. بما أنّ البلدية، ومن ثم سكّان القرية، ستتولّى النفقات، طُرح الأمر على مجلس القرية للتصويت، ففي هذا المكان الصغير يسيطر الانسجام، وكلّ شيءٍ يُناقَش ديمقراطياً. الصدمة كانت في احتواء جميع المهاجرين الأوكرانيين، وعدم بقاء عائلة للتوجّه إلى القرية، حلّت العائلة السورية بدلاً منها. لكنْ، في هذه القرية اللطيفة، لا ينظر السكّان بعينٍ حسنة حقاً إلى قدوم هؤلاء الغرباء، الذين لا يعرف معظمهم موقع سورية على الخريطة، أو شيئاً عن سكّانها، سوى أفكار مسبقة، كالحجاب والحلال والحرام، والعلاقة مع النساء، ووضع المرأة. أفكار مسبقة سلبية، ستعكّر صفو الحياة في قريتهم. يشار إلى هذه التفاصيل في حوار عابر بين الشخصيات، وفي بعض المواقف.

> حوارات سينمائية بسيطة مُفعمة بدعابة وسخرية وإنسانية

القرية، وإنْ كانت صغيرة ومكاناً مُغلقاً، بدت متنوّعة في شخصياتها. أحسنت دِلبي استغلالها كي لا تَظهرُ شخصياتٍ مختارةً بعناية مفتعلة، فتلاءمت مع المكان وسياق السرد. كأنّها، في حيّزها الجغرافي الطبيعي، تؤدّي فيه أدوارها في الحياة. كما وازنت بين الشخصيات وأهوائها. بين الرجال الفرنسيين، هناك البقّال اللامبالي والمكروه من قبل الآخرين، والسبّاك العنصري المنتفخ بغروره، وصاحب المزرعة الحكيم الساخر، ورئيس البلدية الواقع بين المطرقة والسندان، والشرطي الهارب من المشكلات، وآخر ما يريده قدوم غرباء يذكّرونه بمعاناة الضواحي الباريسية التي كان يعمل فيها قبل انتقاله إلى قرية هادئة. أمّا الشخصيات النسائية، فأدّت أدواراً أكثر انفتاحاً: جولي المُعلّمة (المخرجة نفسها)، إنسانية الدوافع، التي تعطي الدروس لآخرين خارج المدرسة أيضاً، ودورها أساسيّ في إحضار العائلة السورية. آن (ساندرين كيبرلين) تتنازع بين تقبّل اللاجئين وإدراك اختلافهم.

إنْ كانت الشخصيات نمطية، فإنّها تخدم موضوعاً بحدّ ذاته من حيث التعبير عن مواقف متضاربة، استطاعت جولي دِلبي، مع إصباغ حِسّ الطرافة على تعبيراتها وسلوكها، أنْ تُخرجها من نموذجيّتها، بوضعها مثلاً في مواقف ساخرة (السبّاك الذي يتعصّب لنقاء سكّان مقاطعة هو أصلاً ليس منها). كما تخلّصت من عبء نتيجة نمطية بامتياز، يسود الخير فيها، ويعمّ القبول، بموضعتها في مكان وزمان خاصّين، ما ساهم في خلق موقف إنساني طريف، حين أنقذت اللاجئة الطبيبة زوجة السبّاك بتوليدها على الشاطئ. وهذا، مع وجود أهل القرية، ومساهمتهم بتعليقات ومواقف مثيرة للضحك.

بينما لم تكن هناك نقاشات جدّية مُعمّقة عن الموضوع، اتُّكِئَ على حوارات بسيطة، مُفعمة بدعابةٍ وسخرية وإنسانية. الأداء التمثيلي أفضل ما يكون، خلافاً له في فيلم لوتش، الذي لم تُقنع شخصياته السورية تماماً، ومعظمها غير مُحترَف، لا بتركيبتها ولا بأسلوب أدائها ولا بقصصها. هنا، وهذا ليس سهلاً، كانت العائلة السورية المنفتحة مشغولة على نحو مُقنع، وإنْ كانت هناك مبالغة أحياناً في التشديد على شَبَهٍ بعائلة فرنسية، لناحية التقارب في التفكير وممارسة الحرية (علاقة المُراهِقة السورية مع المُراهِق الفرنسي). قدّم الجميع أفضل أداء ببساطة وتلقائية، وبدت العائلة سورية حقاً، ولا سيما الجَدّ الشاعر (فارس الحلو)، بحضوره الظريف المُحبَّب، والطفلين، والأب (زياد بكري) الرافض للاندماج والمتحسّس من كلّ نظرة وكلمة، خلافاً للزوجة (داليا نعوس) والأخت الطبيبة (ريتا حايك).

«البرابرة»: انتقاد حالة بأداء بسيط وتلقائيّ (الملف الصحافي)

فيسبوك شريطاً سينمائياً لبنانياً عنيفاً

إنّه خراب فظيع في حرب إبادة

نديم جرجوره

فيسبوك عالمٌ مجنون. منذ «طوفان الأقصى» (7 أكتوبر/تشرين الأول 2023)، يغرق فيسبوك اللبناني في جنون، يزداد عنفاً لفظياً يوماً تلو آخر، ويشتدّ عنفه مع اندلاع حرب إسرائيلية جديدة على لبنان (23 سبتمبر/أيلول 2024). جنون أناسٍ غير آبهين بشيءٍ أو بأحدٍ. ففي فيسبوك، لا قيود ولا مُحاسَبة، بل تفلّتٌ من كلّ أخلاقيّةٍ، يُفترض بمن يرغب في قول رأي أو مناقشة غيره أنْ يتحلّى بشيءٍ، ولو قليل، منها. بهذا، يُصبح فيسبوك مشهداً بصرياً، غير مُقترب من السينما، لكنّه مفتوح على لقطاتٍ متتالية تبدو كأنّها فيلم باهت، يمتلئ بأكشن غير مُحبَّب، وغير صالح لكتابةٍ نقدية. مع فيسبوك، كلّ شيءٍ مُباحٌ، والاستثناءات قليلة. مع فيسبوك، تغيب الصورة/المشهد لصالح خَراب تُظهره مفرداتٌ وتحليلات، تقول إنّ الغالبية الساحقة من القائلين/القائلات بها تدّعي علماً ومعرفة، وإنْ يكن هناك من يملك علماً ومعرفة، يفقِدُ لباقة التعبير. الصورة/المشهد اللذان يكشفهما فيسبوك اللبناني عابقان بفراغ وتشنّج وعصبيّة ومُشاكسة، تبلغ حدّاً يستحيل احتماله.

لكنّ فيسبوك نفسه يُتيح أيضاً مساحةً أجمل وأهدأ، مع كتاباتٍ نادرةٍ تُفيدُ قولاً وأشرطةً وتسجيلات. فرغم حرب الإبادة في قطاع غزّة، ثم في الضفّة الغربية، والآن في لبنان، هناك من يلتزم جملةً متماسكة، لغةً وبوحاً وانعكاساً شفّافاً وجميلاً لما يعتمل في ذاتٍ من قهرٍ وخيبةٍ ووجع، ومن رؤيةٍ، يُمكن لمهتمّ/مهتمّة الاستفادة منها. القهر والخيبة والوجع طاغيةٌ كلّها، ومؤثّرةٌ بصُورها المكتوبة، أقرؤه من نصوص تتحوّل، أمام عينيّ، إلى شريطٍ يعكس ركاكة وعي فردي/جماعي، وانهياراً في تفكير وتحليل، وألماً إزاء ما يُكتَب ويُقال. شريطٌ يُراد له أنْ يوثّق حالة ومرحلة، فإذا به يحتوي على أسوأ ما في أفرادٍ/جماعات، بدلاً من أنْ يُخرج أجمل ما في أفرادٍ/جماعات من وعي وعلم ومعرفة. كثيرون/كثيرات يملكون وعياً وعلماً ومعرفة، لكنّ الطاغي في نفوسهم وتفكيرهم يُخرِّب ما يمتلكون، ويكشف بشاعةً يستحيل معها، بعد انتهاء الحاصل، بناء اجتماعٍ جديد.

إنْ تُخرج الثورات أجمل ما في الناس، كما أسوأ ما فيهم (كما يُقال)، فإنّ فيسبوك، في زمن حرب إسرائيلية جديدة على لبنان، يفعل هذا أيضاً، لكنّه يكشف أنّ الأسوأ أكثر طغياناً من الأجمل، وأنّ الأجمل أعجز من أنْ يُثير الأفضل والأعمق. فيسبوك (يُخبرني أصدقاء/صديقات أنّ وسائل أخرى غير فيسبوك تضجّ بعنفٍ لفظيّ وجنون عارم أكثر بكثير منه، وأنا غير مالكٍ أي وسيلةٍ أخرى) يُبرز قُبحاً، يحسّ به البعض في لقاءات واقعية، وإنْ بشكلٍ أخفّ.

هذا يُذكّر بقول للإيطاليّ أمبرتو إيكو (1932 ـ 2016): «وسائل التواصل الاجتماعي تمنح حَقّ الكلام إلى جحافل من الحمقى الذين يتكلّمون سابقاً في الحانات فقط، من دون أنْ يسبّبوا أيّ ضرر للمجتمع، إذْ يتمّ إسكاتهم فوراً. اليوم، لديهم حَقّ التكلّم مثل الفائز بجائزة نوبل». والأحمق ربما يمتلك علماً ومعرفةً، لكنّ بشاعته العميقة في ذاته تُعرّي خرابه الفظيع. تُرى، إنْ يقرأ إيكو فيسبوك. لبنان حالياً، فما الذي سيقوله؟ غالب الظنّ أنّ الحاصل فيه أخطر من كلّ إمكانية تفكيرٍ في قولٍ يصفه فعلياً.

حرب إسرائيلية جديدة على لبنان: عنف فيسبوك يكاد يكون أخطر منها (حسن فنيش/فرانس برس)

> يُخرج فيسبوك من الناس في زمن حرب إسرائيلية أسوأ ما فيهم

وهذا نادرٌ. والرؤية منبثقةٌ من فعل ثقافي يُمارَس يومياً، وغير مُدَّعيةٍ علماً ومعرفة، لامتلاكها البديع علماً ومعرفةً، وبراعةً في ترجمة هذين العلم والمعرفة بما يليق بقولٍ رأي ومناقشة آخر. وهذا نادرٌ أيضاً. أحاول تعاملاً مع فيسبوك باعتباره شريطاً يقترب من السينمائيّ، أو يكتفي بأنْ يكون بصرياً. أحاول نقداً لما أشاهده قراءةً، ولما

أفلام جديدة

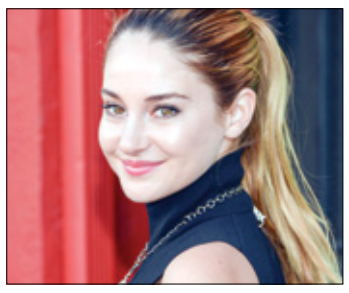

■ Killer Heat لفيليب لاكوت، تمثيل جوزف غوردن ـ ليفيت وشايلين وودلي (Getty): مُحقّق خاص يُدعى نِكْ بالي، مغترب أميركي يُقيم منذ سنوات في اليونان، يكلّف بالتحقيق في الوفاة العرضية، المُشتَبه بها، لقطب الشحن الشاب ليو فاراكيس في جزيرة كريت؛ ذلك أنّ زوجة شقيق الضحية لا تُصدّق الوارد في التقرير الرسمي لجهاز الشرطة المحلية.

■ Lift لأف غاري غراي، تمثيل كيفن هارت وغوغو مْباثا ـ راو (FilmMagic): لصّ ذو خبرة عالية، يبرع في الاحتيال لتحقيق سرقاته، خاصة باستخدام حفلات المزاد العلني للوحات وأغراض. مع فريقه، يُحقّق إنجازات، تدفع الإنتربول إلى مطاردته بين بلدٍ وآخر. لكنّه، في لحظةٍ، يجد نفسه أمام حبيبته السابقة المتعاونة مع الإنتربول أيضاً. معاً، بدعم من أعضاء فريقه المخلصين له بشدّة، يحاولان تنفيذ «مهمّة» يُفترض بها أنْ تكون مستحيلة: سرقة 100 مليون دولار أميركي أثناء رحلة على متن طائرة إيرباص A380 بين لندن وزوريخ.

■ El Hoyo 2 فيلم إسباني لغالْدِر غارْتالو ـ أورَيتْثيا، تمثيل ميلنا سميت (Getty): عودة إلى «بلاتفورم»، السجن الكبير المُشيَّد بشكل عمودي، مركزاً للإدارة الذاتية. يضم مجرمين عديدين، موزّعين على عشرات الطوابق، ويوفّر لهم منصّة عائمة للطعام، وَفْقاً لجدول يومي. زعيمُ غامضٌ يفرض سلطته على المنصة، فيتورّط «نزيل» جديد في معركةٍ ضد هذه الطريقة المثيرة للجدل في مكافحة النظام الوحشي للسلطة الوحشي.

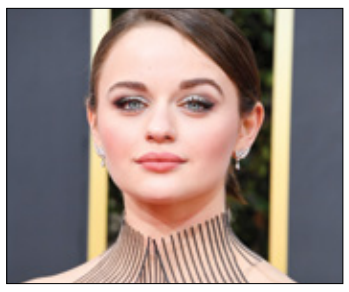

■ A Family Affair لريتشارد لاغرافُنيز، تمثيل جوي كينغ (WireImage) ونيكول كيدمان: كلّ شيءٍ ينقلب رأساً على عقب، في العلاقة القائمة بين أمٍّ وابنتها، في لحظةٍ غير متوقّعة، فتتعقّد كثيراً. ذلك أنّ بروك (الأم) لا تكتفي بالتعرّف إلى صاحب الشركة التي تعمل فيها زارا (الابنة)، بل تتمكّن من إغرائه للقاءات حميمة بينهما.

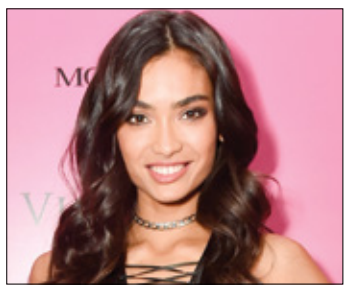

■ Plane لجان ـ فرنسوا ريشي، تمثيل جيرارد باتلر ومايك كولتر وكيلي غايل (Getty): عضو سابق في سلاح الجو الملكي، الاسكتلندي برودي تورانس، بات طيّاراً مدنياً. في رحلةٍ تقلّ 14 راكباً يوم رأس السنة من سنغافورة إلى هونج كونغ، إضافة إلى ضابط شرطة الخَيّالة الكندي الملكي لوي غاسبار، سجين مطلوب منذ سنوات بتهمة القتل. في منتصف الرحلة، تتعرّض الطائرة لعاصفة عنيفة، ويضربها البرق.